



الأب رفيق خوري

القدس في قلب القلب.. والحرمان منها موت متعدد الأبعاد

عزيز العصا

"الأب رفيق حنا خوري"؛ رجل دينٍ كاثوليكي متخصص في الدراسات اللاهوتية، وتربوي عريق؛ أدار العديد من المؤسسات التربوية. ولد في الطيبة، في أربعينيات القرن العشرين، وسط لهيبين كانا يشويان وجه فلسطين والفلسطينيين: الحرب العالمية الثانية - التي دفع الفلسطينيون ثمنها من دماء أبنائهم ومن راحتهم واستقرارهم - من جانب، والإعداد والاستعداد الصهيوني - البريطاني لإعلان الدولة العبرية من جانب آخر. وبين هذين اللهيبين يكمن الفقر والفاقة والجوع والجهل والخوف والقلق - بل الرعب الشديد -.

ونحن الآن بصدد واحدة من ومضات "الأب رفيق حنا خوري"، وهو كتابه "من أجل حدود مفتوحة بين الزمن والأبدية"، الصادر عن مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، ويقع في أربعة أجزاء، هي:

الجزء الأول: نحو لاهوت متجسد في تربة بلادنا. صدر في العام 2012م. وقدّم له غبطة البطريرك ميشيل صباح. ويقع في (547) صفحة من القطع المتوسط.

الجزء الثاني: الحضور المسيحي في المشرق العربي بين الماضي والحاضر والمستقبل. صدر في

العام 2014م. يفتح بتأمل افتتاحي لغبطة البطيريك ميشيل صَبَّاح، وقدّم له برنارد وماري سايبلا. ويقع في (571) صفحة من القطع المتوسط.

الجزء الثالث: "الأخر... نعمة أم نقمة؟". صدر في العام 2016م. وقدّم له القس د.م تري الراهب. ويقع في (575) صفحة من القطع المتوسط.

الجزء الرابع: فلسطين في القلب. صدر في العام 2017م. وقدّم له الأكاديمي والدبلوماسي عفيف صافية. ويقع في (416) صفحة من القطع المتوسط.

جاء الجزء الرابع بعنوان: "فلسطين في القلب"، وكان هذا العنوان يأتي استكمالاً لما يراه القس د.م تري الراهب في تقديمه للجزء الثالث من هذه الرباعيّة، وهو يشير إلى أن "الأب رفيق خوري" نشأ في بيئة عربيّة، حيث شكّلت العروبة مساحة لإيمانه⁽¹⁾، كما يقول فيه عفيف صافية: ابن الجيل الذي "شرب العروبة مع حليب أمهاته"⁽²⁾. إذا كانت العروبة هي مساحة إيمانه، وإذا كان قد رضع العروبة وكبّر عليها وآمن بها، فإنه من الطبيعي أن تكون فلسطين في قلب هذه المساحة، وهي جوهر إيمانه.

لقد تجوّلت في ثنايا النصوص والسرديات، مع مؤلّف يسعى إلى المكاشفة والمصارحة من جانب، وإلى طرح المعالجات والحلول وفق رؤى ناضجة، بعيدة عن العصبويّة والتشنّج من جانب آخر، وهو - في مواضيع مختلفة - يسترجع أقوال يسوع عليه السلام ويتكئ عليها. فقد توزّعت المقالات على مدى زمنيّ يمتد بين العام 1993م والعام 2016م. مما يعني أننا أمام حقبة ما بعد اتفاقية أوسلو، التي شكّلت مفصلاً تاريخياً مهمّاً في حياة الشعب الفلسطيني وفي الصراع القائم على أرض فلسطين.

ونظراً لاتساع البيانات والبيّنات التي احتواها هذا الجزء من رباعيّة "الأب رفيق خوري"، والتي غطّت حقبة زمنية حساسة ومهمّة من تاريخ فلسطين وشعبها، فإنني أكتفي بالإشارة إلى عدد من المحاور التي أرى فيها، من وجهة نظري المتواضعة، الأكثر أهميّة وأثراً على

(1) خوري، رفيق (2016). من أجل حدود مفتوحة بين الزمن والأبدية - الجزء الثالث (الأخر... نعمة أم نقمة؟). مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة. القدس. ص: 10.

(2) خوري، رفيق (7102). من أجل حدود مفتوحة بين الزمن والأبدية - ج 4 (فلسطين في القلب). مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة. القدس. ص: 7.



المجتمع الفلسطيني وعمقه العربي، تاركاً لمن يقرأ هذا الكتاب أن يستقي ما يهمه، وما يراه أكثر أهمية مما وجدتُ الأمر عليه:

أولاً: فلسطين والعالم العربي: الازمات.. التحديات.. والعلاج

في مقال له في العام (2012)؛ نجد أن "الأب رفيق خوري" متشائم بشأن العالم العربي، الذي أصبحت أقطاره منعزلة، وتسودها ثقافة الانعزالية - لبنان أولاً.. مصر أولاً... الخ - . وينتهي به الأمر إلى الاقتناع بأن بدايات الألفية الثالثة هي بدايات سيئة؛ تمثلت باغتيال ياسر عرفات، وتدمير العراق. ثم اجتاحت المنطقة، مع العام 2011م، مسلسل جديد تتعدد تسمياته بتعدد النوايا الجيوسياسية لأصحابها؛ كالربيع العربي والثورات العربية وغير ذلك من المصطلحات. ويلقي اللوم على الأنظمة العربية التي لم تأبه للتنوع الواسع الذي تمتاز به المجتمعات العربية، وتم استخدام المال العربي في تدمير المجتمع العربي⁽¹⁾.

ثم يتوقف معمقاً عند لعبة الأمم، ومكان العالم العربي في هذه اللعبة، الذي هو هشّ ومنقسم، ويتجه نحو مزيد من الشرذمة، وأما القضية الفلسطينية فقد تم تفرغ الوجدان العربي من التفاعل معها، وقُدِّفَ بهذا الوجدان ليصب في خزانة المصالح الإسرائيلية، في حين أن إسرائيل تضاعف الاستيطان وتهوّد القدس وتقيم الجدران العازلة، وتقمع الشعب الفلسطيني... وغير ذلك من الممارسات⁽²⁾.

رغم حلقة الظلمة، إلا أن "الأب رفيق خوري"، وبنظرة الخبير، يطلق شعاعاً يشتمت شيئاً من ظلمة المستقبل، مؤكداً أن العالم العربي يمتلك الكثير من الأوراق الراححة؛ كالعقول والثروات والموارد البشرية والمادية، ثم يطلق العنان لأحلامه بإنشاء مجموعة عربية تركز على أربع دعائم: مصر، وسوريا، والعراق والعربية السعودية، مشيراً إلى أن قطب القاهرة - الشام أساسي لعافية العالم العربي، لأن هذين البلدين هما رتتا العالم العربي منذ أقدم العصور⁽³⁾.

من منطلق هذه المرتكزات الأربعة، يمكن أن يجتمع العالم العربي (المغرب العربي، وبلاد

(1) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 39.

(2) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 54 - 57.

(3) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 63 - 66.

الشام والخليج العربي)، مذكراً بأن الانحدار العربي يبدأ بفلسطين، ونهوضه يبدأ بفلسطين. ولم يغادر هذا التصور دون أن يشير إلى أن ذلك لن يتم إلا من خلال رؤية جديدة، وإنسان جديد، وتوجه جديد، وأنظمة جديدة! وأنه من الضروري عدم الانتظار لمزيد من دماء الأبرياء ودموعهم لكي نبدأ المشوار⁽¹⁾.

أما فلسطين، فيراها "الأب رفيق خوري"، بعد اتفاق غزة أريحا أولاً، مشروعاً متكاملًا نبلوره أولاً، ومن ثم نوظف جميع إمكاناتنا لبنيانه لبنة لبنة؛ لبنني في قلب الشرق العربي أنموذجاً مجتمعياً جديداً ونمطاً حضارياً مبتكراً، وبذلك نقوم بدور تاريخيٍّ مميّز، يستفيد منه شعبنا ومنطقتنا، لا بل والعالم بأسره⁽²⁾. وكأني بالكاتب ينتقل من الحلم إلى الفعل على الأرض، عندما يعلن - بعد الشروع بتنفيذ اتفاق أوسلو - بأن الوقت وقت وضع اليد على المحراث، وأن التحديات التي يواجهها المشروع الفلسطيني كثيرة وجسيمة، يذكر منها⁽³⁾: التحدي الاقتصادي، والتحدي الديمقراطي، والتحدي الاجتماعي، والتحدي التعليمي والثقافي، والتحدي اللاهوتي. وفي مجال التحدي اللاهوتي يرى "خوري: أن إسرائيل قامت على أساس ديني، مستخدمةً تفسيراً مبتوراً للكتاب المقدس - خاصة في عهده القديم - لأغراضها السياسية. وأنه يتم تقديم "إسرائيل ك"تعبيرٍ عن إرادة إلهية"، وذلك لدى بعض الأوساط البروتستانتية، ومن ثمّ لدى الكاثوليك بعد الحرب العالمية الثانية⁽⁴⁾. وهنا لا بد من إعادة القراءة الشاملة للكتاب المقدس؛ كي تكون كلمة الله بركة ونعمة على جميع البشر، وليس نعمة للبعض ونقمة للبعض الآخر.

ثانياً: القدس في قلب القلب

هذا هو العنوان الوحيد الذي اقتبسته كما هو، دون أن أجمع محتواه من أكثر من مقال للكاتب. فقد جعل هذا العنوان للقسم الثالث من كتابه، وفي هذا القسم نجد "الأب رفيق خوري" وقد وضع عصارة فكره ووجدانياته وعواطفه في مقالين: "القدس أو الموت" و"القدس في الذاكرة المسيحية".

(1) نفس المرجع السابق.

(2) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 78 - 80، 94.

(3) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 91 - 99.

(4) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 169 - 171.



لا أخالني جانبُ الحقيقة إن قلتُ بأنني لم ألمس تفاعل الكاتب وحرقته واشتعال وجدانيّاته فيما قرأتُ في هذا الكتاب، أكثر وأكبر مما وجدته عند حديثه عن القدس؛ فقد ملمم جراحه المقدسية جميعها تحت عنوان "القدس في قلب القلب"؛ ليعلن للعالم أجمع بأن قلب الشعب الفلسطيني ينزف وينزف، منذ اليوم الأول لدخول الاحتلال إلى القدس في حزيران من العام 1967م، حيث "المسجد الأقصى يتعرّض لهجمة شرسة، ومن ورائه هوية القدس بشكل عام". ثم يبهر في وصف القدس التي يرى فيها "السرّ والسحر.. وأنها مدينة الله ومدينة الإنسان"، دون أن يخفي ضيقه وحنقه من غياب الشقيق العربي وترك القدس - في هذا الحال - وحيدة مع أبنائها، ويعلن أن ترك القدس، في الحلول السياسية لآخر المطاف، خطأ رهيب؛ فالقدس هي المشكلة وهي الحل⁽¹⁾.

وفق وصفه للقدس، يتوقف "الأب رفيق خوري" عند الإجراءات الاحتلالية؛ من تطويق بالجدران، ومنع من دخولها، وكأنه يُمنع من الدخول في تلك الزاوية الحميمية من كيانه الداخلي العميق⁽²⁾، وغير ذلك من الإجراءات، التي يرى فيها أنها تشكّل موتاً محققاً متعدّد الأبعاد، يذكر منها⁽³⁾:

- موت نفسي؛ لما فيه من مصادرة لذاكرة طفولتنا وذاكرة شعبنا.
- موت روحي؛ لأن الذهاب إليها هو حجّ مقدّس، وأن ما يجري هو اقتلاعنا من جذورنا والحكم علينا بالموت الروحيّ.
- موت اجتماعي؛ فسكّان القدس وقاطنوها هم منّا ونحن منهم، فكيف إذا نُمنع من التواصل معهم؟!
- موت ديني؛ ففي القدس مؤسساتنا الدينيّة - الإسلامية والمسيحيّة -، مما يجعل الذهاب إليها والإياب منها حاجة يوميّة ملحة.
- موت وطني؛ فالقدس قلب الحياة الوطنيّة ولا يمكننا تحيّل وجودنا بغير القدس.

(1) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 212 - 214.

(2) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 230.

(3) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 215 - 218.

– موت اقتصادي؛ فالقدس العقدة الأساسية في النسيج الاقتصادي الفلسطيني، وجميع المدن والقرى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقدس كمورد رزق يومي لأبنائها.

ثم يطلق "الأب رفيق خوري" صرخة مدوّية، علينا أن نرددها معه، وهي: لا معنى لفلسطين من دون القدس، ولا معنى للقدس من دون الفلسطينيين، ولا معنى للعالم العربي من دون القدس، ولا معنى للقدس من دون العالم العربي، ولا معنى للعالم من دون القدس، ولا معنى للقدس من دون رؤية رحبة وشاملة⁽¹⁾. ولـ"الأب رفيق خوري" أن القدس "مدرسة" ينسب إليها ما تعلمه في حياته؛ كيف يكون إنساناً، وكيف ينظر إلى الحياة، وكيف يحدد هويته، وكيف يوسّع مساحة وجدانه، وأن الزمن والأبدية لا تناقض بينهما، ولعل ذروة ما تعلمه المثلث الذي يشكل هوية الإنسان: الله – أنا – الآخر⁽²⁾.

وأما القدس في الذاكرة المسيحية، فيعيدها "الأب رفيق خوري" إلى السيّد المسيح، الذي عاش في القدس أهم أحداث حياته، وجوهر رسالته؛ ألا وهي موته وقيامته، ما جعل القدس مركز الجاذبية للكون وللتاريخ بالنسبة إلى المسيحيين. وعندما نتصفّح الأناجيل المقدّسة، نلاحظ أن القدس هي المركز الذي تنطلق منه كل حياة يسوع ورسالته. حتى إن لوقا يقدّم الإنجيل بأكمله على أنه صعود تدريجيّ إلى القدس. وأما السيد المسيح، فكان يخاطب "أورشليم" ويكي عليها، وفيها "كنيسة بكاء الرب". وتنتقل مركزية القدس إلى الجماعة المسيحية الأولى، حيث إن يسوع "أوصاهم ألا يغادروا أورشليم"، إلى أن تحين ساعة انتشارهم إلى أقاصي الأرض، ومن أورشليم راحت الدعوة الإنجيلية تنتشر في كل الاتجاهات⁽³⁾.

فتح المسلمون العرب القدس في العام 638م، فكانت العهدة العمرية، التي هي "ضمانات" وليست شروطاً تُفرض على المغلوبين، فاندمج المسيحيون، بسرعة ملفتة، بالمجتمع الجديد، واستمرّت حركة الحج، وازداد عدد الحجاج الوافدين إلى الأرض المقدّسة من جميع أنحاء أوروبا ومن المناطق السلافية، وتقلّصت هذه الحركة بعد استيلاء السلاجقة

(1) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 221.

(2) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 224 – 226.

(3) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 230 – 235.



على القدس عام 1076م. ومع الحروب الصليبيّة (1099م - 1291م)، تعمّقت الهوّة بين الغرب المسيحي والشرق المسلم، وبين المسيحيّة الشرقية والمسيحيّة الغربيّة، وبين المسيحيين واليهود وبين الشرق والغرب⁽¹⁾.

بعد الحروب الصليبيّة، وفي عصر المماليك (1291م - 1516م)، أخذ الاهتمام بالأماكن المقدّسة منحى بعيداً عن الخوف والحروب، منصباً على الجانب الروحي والدينيّ، بعيداً عن أي مطالب أو أطماع سياسيّة. ومنذ العام 1516م تصبح الأرض المقدّسة - بما فيها القدس - تحت الحكم العثمانيّ، حتى العام 1917م، فيتم، في بداية القرن التاسع عشر، تطبيق نظام "الملّة"؛ الذي يعطي كل كيان دينيّ أو مذهبيّ حكماً ذاتياً وشخصيّة قانونيّة بقيادة رئيسه الدينيّ. وعندما ضعفت الدولة العثمانيّة وأصبحت تسمّى "رجل أوروبا المريض"، تهاقت الإرساليّات الأوروبيّة على فلسطين، وأقيمت كنائس جديدة، ووفدت إلى المدينة المقدّسة أعداد كبيرة من المؤسسات الدينيّة، وفتحت المعاهد والمدارس والمشافي والمؤسسات الاجتماعيّة المختلفة⁽²⁾.

منذ انتهاء الحكم العثمانيّ، في العام 1917م، وبدء "الانتداب" البريطانيّ، وعلى امتداد القرن العشرين، تعاقبت على القدس أحداث تسارعت بشكل مأساوي؛ كالنكبة - سنة 1948م - التي جاءت بدولة إسرائيل، على 78 بالمئة من أرض فلسطين وشطر القدس إلى شرقيّ وغربيّ، والنكسة - سنة 1967م - التي استكمل فيها احتلال ما تبقى من فلسطين، وتم بعدها ضم شرقي القدس إلى غربيّها، وما تبع تلك الحرب من ثورات وحروب وانتفاضات وأحداث كبرى، وما نجم عن الاحتلال من إخلال في الميزان الديمغرافي⁽³⁾ والعمراني والثقافي، وتهويد القدس وإغلاقها في وجه المسيحيين، والعمل على الاستيلاء على المباني الكنسيّة المهمّة بكل السبل⁽⁴⁾.

يشير "الأب رفيق خوري" إلى بعض البيانات الكنسيّة التي تسلط الضوء على مآسي

(1) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 242 - 247.

(2) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 247 - 250.

(3) كان عدد المسيحيين في القدس في العام 1944م (29,000) نسمة، انخفض إلى (14,000) نسمة بعد النكبة في العام 1948م، وهو أقل من (10,000) الآن (خوري (2017). ص: 252).

(4) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 251 - 254.

المسيحيين في القدس، والتي تؤكد على أن هناك حالة من القلق العميق وعدم الاطمئنان بين شعبنا وكنائسنا، وتندّد بالهجمات الاستيطانية على المؤسسات الكنسيّة كالتّي اقترفتها جماعة "عترت كوهانيم" لدير مار يوحنا. ولعلّ البطريك ميشيل صباح يختصر المشهد بقوله⁽¹⁾:

"آلام الفلسطينيين اليوم في القدس مثيرة، منها: هدم منازلهم، ومنع تصاريح البناء، وسحب الهويّات، والتفرقة في الخدمات البلديّة بين قسميّ المدينة، وفرض نظام ضريبي يتناسب مع النظام الاقتصادي الإسرائيلي ولا يتناسب مع الوضع الاقتصادي الفلسطيني المحتل، مما يسبّب الدمار ووقف النمو الاقتصادي للمقدسيين"

ثالثاً: الصهيونية.. والصهيونيّة المسيحيّة وخطرهما على البشريّة

يذكر "الأب رفيق خوري" بالظلم والاضطهاد الذي تعرّض له اليهود في أوروبا، حتى نشأ في الغرب ما أطلق عليه "المسألة اليهوديّة" والحاجة إلى حلّها. إذ في تلك الأجواء ولدت الحركة الصهيونيّة، التي غذّتها ذاكرة الاضطهاد وتبلور الشعور القومي في القرن التاسع عشر، وقد غذّتها تيار مسيحياني سياسي - ظهر في الأوساط البروتستينيّة في بريطانيا وغيرها - الذي يدعو إلى هجرة اليهود إلى فلسطين كشرط لاهتدائهم وللمجيء الثاني للمسيح. فنشأت الحركة الصهيونيّة كمزيج من تيارات مختلفة لا تخلو من الطابع الأسطوري الحافل بالمخاطر⁽²⁾.

يرى "الأب رفيق خوري" أن الحركة الصهيونية سلسلة لامتناهية من التزييفات والأكاذيب، عملت على تسويقها طيلة تاريخها منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى اليوم. فهي قامت على أساس أكذوبة تاريخية ("شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب"). وربّ كذبة ولّدت كذبات⁽³⁾! وقامت دولة "إسرائيل" ذات التاريخ الغارق في الدماء، وما كان من الممكن أن يكون إلا كذلك؛ لأن المشروع الصهيوني - الذي قامت عليه هذه الدولة - وُلِدَ فاشلاً، على الأقل أخلاقياً⁽⁴⁾.

(1) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 254 - 256.

(2) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 157 - 158.

(3) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 111.

(4) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 159.



وهناك ما يُطلق عليه "الصهيونية المسيحية"، التي يعيد "الأب رفيق خوري" ظهورها إلى القرن السادس عشر، في بريطانيا؛ وهي خليط من الأصولية الدينية، والأيدولوجيا السياسية، والمشاريع المجتمعية، التي وجدت دائماً في التاريخ بأشكال مختلفة؛ علمانية أو دينية، بما تحمله معها من تعصب أعمى، وأدت - في كثير من الأحيان - إلى المذابح الفظيعة والمآسي البشرية. وأصبحت الصهيونية المسيحية تياراً منتشرًا، بشكل واسع، في مختلف بلدان العالم - في أميركا بشكل خصوصي⁽¹⁾.

يتطرق "الأب رفيق خوري" إلى هذا التيار، الذي يعدّه خطراً على مختلف شعوب العالم - ومنهم الشعب الفلسطيني -، بالإضافة إلى تداعياته على الكنيسة الجامعة والكنائس المحليّة في الأرض المقدّسة. وهنا، لا بدّ من الإشارة - بإيجاز - إلى ما يشحذ به الكاتب عقولنا وثقافتنا من معلومات حول هذا التيار، والتي يمكن تلخيصها بما يأتي⁽²⁾:

أولاً: ميزات الصهيونية المسيحية:

- أصبحت قوّة فاعلة في عالم اليوم؛ بسبب تحالفها مع قوى أيديولوجية وسياسية مشابهة، منها ما أصبح في موقع السلطة - كما في أميركا - . وبسبب هذه التحالفات أصبحت الصهيونية المسيحية قوة نافذة تمتلك وسائل عمل رهيبية على الساحة الدولية، وهم يعدّون بنحو (100) مليون في أميركا⁽³⁾؛ ما يجعل تلك الحركة تشكّل خطراً حقيقياً في الوقت الحالي.

- تقدّم نفسها على الطريقة الغربية؛ أي بمظهر العقلانية والحلقة، ما يجعلها أكثر جاذبية وأكثر خطورة.

- تتخذ موقفاً عدائياً متطرفاً وتهجّميّاً حيال كل من يخالفها الرأي، وفي كل الاتجاهات.

ثانياً: تأثير الصهيونية المسيحية على الديانات المختلفة: تتأسس هذه الأيدولوجيا - بشقيها السياسي والديني - على مفهوم مغلق وضيّق للدين، وتطوّر مفهوماً للدين عبارة عن

(1) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 176.

(2) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 176 - 187.

(3) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 184.

أيديولوجيا معادية للكائن البشري؛ لتستخدمه كباطل مبرر لتوجهاتها المدمرة. ويتركز أثرها في جميع الديانات، مثل:

– على الديانة اليهودية: تسيء إلى هذه الديانة وتحوّنها إلى قوّة طاغية وسبب للمظالم والعنف.

– على المسيحية: تحوّل المسيحية إلى أيديولوجيا سياسيّة، تعتمد على أفكار رؤيويّة ومسيحانيّة عسيرة الهضم. كما أن لها تأثيراً أساسياً على المسيحيين وكنائسهم - خاصة في فلسطين - ، عندما ينظّم أنصارها تظاهرات متعجرفة واستفزازيّة وانتصاريّة في القدس، وما يرافق ذلك من تهجّم على الإسلام والمسلمين، يفهمه المسلمون على أنه قادم من المسيحيين، وما يتركه في نفوسهم من ألم وبؤس.

– على الإسلام: فأحدى ثوابت الصهيونيّة المسيحية هو التهجّم الشرس والحاقد على الإسلام؛ المسيح الدجال بالنسبة إليهم هو الإسلام والمسلمون. وهنا، يتم استخدام الأدبيات اللاسامية، التي موضوعها اليهوديّة، ليصبح موضوعها الإسلام، بما يؤدي إلى استثناء الإسلام من التراث البشريّ.

– على السلام العالمي: تشكّل الصهيونيّة المسيحية وحلفاؤها خطراً حقيقياً على السلام العالمي، إذ تعتمد على بعض المفاهيم - كالإرهاب الدولي - التي تهندسها على هواها، وتتعاطى مع مشكلات العالم بخليط من الكذب والقوّة العسكريّة، وفق أجندتها الخاصة بها؛ كالحريين على أفغانستان والعراق اللتين بدأت بهما الألفيّة الثالثة.

أما الحركة الصهيونيّة التي أنشأت الدولة العبريّة، وقادتها حتى وصلت إلى السيطرة على كامل التراب الفلسطيني، وعلى أجزاء من دول الجوار، فإن الكاتب يوجز الواقع المعيش على الأرض مع الاحتلال تحت عنوان "عبيّة السلام"، وهو يصف حالة الخداع التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني، ولعله يكتفّ الحالة ويركّزها عند وصفه لما سمّي "عملية السلام"، منذ مدريد - 1991 - ، على أنها لم تكن سوى حلقة من حلقات المشروع الصهيونيّ، الذي عمل أصحابه جاهدين على تشبيته إلى الأبد، بالقوّة العسكريّة أولاً، ومن ثم عن طريق المفاوضات⁽¹⁾.

(1) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 151 - 154.



وأما النتيجة النهائية، التي استقرّ عليها حال الشعب الفلسطيني، فهي أن النكبة تتكرر وتعمّق يوماً في حياة الشعب الفلسطيني الذي يعيش على أرضه، التي احتلتها "إسرائيل"، لاسيّما منذ اتفاقية - خدعة - أوسلو في العام 1993م، ويورد - على سبيل المثال لا الحصر - صوراً لأوجه المأساة كما خبرها بنفسه وشاهدها بأب عينه، منها⁽¹⁾: المستوطنات والطرق الالتفافية؛ التي تلتهم الأرض وتخنق القرى والبلدات الفلسطينية. والإغلاقات والحواجز؛ التي تشلّ الحياة اليومية للفلسطينيين، خاصة إغلاق القدس. وشلل الحياة الاقتصادية. وقلع الأشجار. والقصف اليومي خاصة قصف البيوت - كما يجري في غزة - . وسياسة القتل والاعتقالات. والآثار النفسية للقمع الإسرائيليّ.

خلاصة

بعد هذه الجولة الممتعة الشيقة في ثنايا وطيّات ما أنتجه المفكّر اللاهوتيّ "الأب رفيق خوري"، نجد أنه كطف من كل روض وبستان، ليخرج بنتاج فكريّ يسهم في رسم ملامح المستقبل، عبر فهم علميّ رصين للتاريخ، وضبط إيقاع الحاضر، بما يمكننا من السيطرة على إرهاباته وأزماته وتبعاته من مختلف الجهات والاتجاهات، من أجل فهمه وإدراك تبعاته ونتائجه على حياتنا المعاشة، وعلى مستقبل الأجيال القادمة.

كما وجدتُ فيه أكثر بكثير مما كتبتُ عنه في هذه العجالة. ففيه زخمٌ من المعرفة والمفاهيم والمصطلحات والمعلومات والبيانات والبيّنات، التي تمسّ الحياة اليومية للإنساننا الفلسطينيّ، الذي يواجه شظف الخوف والقلق والرعب من نقيض يتواجد على هذه الأرض، وهو يمارس شراسة وعدوانية ليس لها وصيف على مدار البشرية جمعاء، تحكمها أساطير وأكاذيب فنّدها "الأب رفيق خوري" وفضحها وقال فيها كلمته، التي علينا قراءتها بتمعّن وبفكر وقلب مفتوحين، حتى تتموضع فلسطين وعاصمتها القدس في القلب، بل في قلب القلب.

(1) خوري (2017). ج 4. مرجع سابق. ص: 164 - 167.